المشاركة في بناء معنى النّصّ بين المؤلف والقارئ عند أمبرتو إيكو

طالبة دكتوراه: أسماء بن طيب *

المركز الجامعي بمغنية (الجزائر)

Bentayeb_assma@outlook.fr

الأستاذ المشرف: أ.د. سيدي محمّد بن مالك

المركز الجامعي بمغنية (الجزائر)

benma_1971@yahoo.fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2021 / 06 / 04	2021 / 07 / 01	2021 / 10 / 28

مُلَخَّصُ البَحث

يعتبر أمبرتو إيكو واحداً من ألمع الوجوه في البحث السّيميائيّ، ويندرج تصوره حول مسألة "القراءة" في إطار إشكالية كبرى، هي ما يطلق عليها منذ الستينات باسم: "جمالية التلقي". غير أنّ ما يميّز أعمال إيكو هو تصوره الذي تطور من خلال ما نسمّيه "بسميائيّات التلقي" وهو آخر مفهوم يؤطر تصور إيكو حول القراءة، والذي نَحته في أحد المؤتمرات حول الدراسة السّيميائية الايطالية؛ حيث عالج أمبرتو إيكو مجموعة من المفاهيم ذات الصلة بمرتكزات القراءة كالمؤلف، والقارئ.

ومن هذا المنطلق، نريد من خلال هذه الورقة البحثية الخوض في الحديث عن تَشارُكِ المؤلف والقارئ النموذجي في بناء معنى النّصّ. والذي يعد من أهم المفاهيم التي قام عليها تصور إيكو، وسيكون ذلك من خلال الوقوف عند المباحث التالية: نظرية التلقي- القارئ النموذجيّ – الاستراتيجية النّصّيّة.

الكلمات المفتاحية: نظرية التلقي- القراءة- سّيميائيّة القراءة-المؤلف- النّصّ- القارئ النموذجي.

Abstract

Emberto Echo is one of the brightest faces in semiotic research, and his perception of the issue of "reading" falls within a major problem, which since the 1960s has been called: "Receiving aesthetic." What characterizes Echo's work, however, is his perception, developed through what we call "receiving smears," the last concept to frame Echo's perception of reading, which she sculpted at a conference on the Italian Sioux study; Umberto Echo addressed a range of concepts relevant to reading foundations such as the author, the reader.

From this point of view, we want to talk about the participation of the author and the model reader in building the meaning of the text. Which is one of the most important concepts on which Echo's perception is based, and it will be by standing by the next detective, the theory of indoctrination, the model reader, the textual strategy.

Keywords: Reception theory - reading - semiotics of reading - author - text - model reader.

* الاسم واللقب والبريد الإلكتروني: أسماء بن طيب Bentayeb_assma@outlook.fr

مقدمة

الاهتمام بالقراءة والقارئ بصفة عامة منذ القديم كان حاصلاً لكن لم يهتم به من جهة وبالنّصّ من جهة أخرى إلاّ حديثاً، حيث ظهر تيار أدبيّ متميّز ركز اهتمامه على المتلقي باعتباره عنصراً فعّالاً في إنتاج وتكوين النّصّوص الأدبيّة. إنّ هذه النظرية سُمّيت بجمالية التلقي. وقد ظهرت في ظروف أدبيّة على إثر أزمة التواصل الفنّي التي طبعت المجتمعات الغربية، وبالتالي فهذا التيار احتل مكانة مرموقة ضمن المقاربة الجديدة للفن والأدب بصفة عامة، مادامت تسمح بإعادة تاريخها وذلك بتحليل الإنتاج والتلقي وعلاقتهما. وللإشارة فبوادر هذه النظرية ظهرت بألمانيا على يد أدباء متميّزين نذكر منهم: "هانز روبيرت ياوس، ولف غانغ ايزر، ياوس"، ويعتبر هذا الأخير من خلال كتابه: " **فعل القراءة** " أحد أبرز المساهمين في وضع الأسس الفلسفية لجمالية التلقي من جهة باعتبارها فناً أدبيّاً يهتم بالقارئ والمتلقي أو بالتفاعل الذي ينجم بين هذا القارئ والنّصّ الأدبيّ موضوع القراءة من جهة أخرى.

فإذا كانت النظريات القديمة والكلاسيكية منها المناهج التاريخية والوضعية والماركسية والشكلانية...قد أغفلت القارئ كطرف أساسي في معادلة التواصل ودوره في عملية القراءة، واهتمت فقط بالمؤلف والمؤلفات، فإنّ هدف **ياوس** في مؤلفه **"من أجل جمالية الاستقبال"** انصب على ذلك العنصر الفعّال في إنتاج الخطاب والأثر الأدبيّ. حيث كان يطمح إلى بناء نظرية أدبيّة يكون موضوعها القارئ، هذه النظرية تؤطر العمل الأدبيّ وتضمن له سيرورته الفنيّة والجمالية عبر العصور والأزمنة[1]. أيْ أنّ القارئ يضمن استمرارية العمل الأدبيّ فبفعل القراءة تتجدد النّصّوص مما يضمن لها استمرارية دراستها في مختلف العصور.

لقد كنا قديماً نقول: <" إنَ المعنى في بطن الشاعر" غير أنّ زماننا هذا سرق المعنى من بطن الشاعر ووضعه ناراً حارقة في بطن القارئ. لقد انكسرت مركزية المعنى ومركزية الذات الأولى التي تحتكر المعنى، وصار المعنى مبعثراً على وجه النّصّ ينتظر قارئاً ما لكي يلتقط مفرداته الأولى وينظم منها شجرة دلالية >[2]. فالقراءة هي ضرب من الاستعداد لاستخلاص المعاني الممكنة، والمحتملة، التي يجد القارئ لها ما يسوغها حين يؤول النّصّ، ويُفسّر، ويُشرح، فهو، مثلما يؤكد جوناثان كيللرCuller ، الاعتراف بالمعنى الذي يجمع عليه المفسرون وليس المعنى الذي قصد إليه الكاتب ورمى. وهذا شيء يمكن تعميمه على جميع النّصّوص.

إنّ القراءة " لا تعدو أن تكون " إعادة إنتاج للمعنى القائم في البنى النّصيّة، من وجهة نظر القارئ، لا من وجهة نظر المؤلف. ويضيف **إمبرتو إيكو**- الإيطالي موضحاً، أنّ القراءة تتجاوز إعادة الخلق، والاستجابة، إلى التمتع بالقراءة"[3]. فالقارئ في أثناء قراءته لرواية أو قصة قصيرة ما فإنّه يقوم بإعادة بنائها في ذهنه، منتفعاً في ذلك بمعرفته بقواعد اللغة التي كُتب بها النّصّ السّردي، وذائقته الأدبيّة التي اكتسبها خلال قراءاته السابقة لهذا النوع من الآداب ، "فضلاً عن التفاعل التام بين شفرة النصَ، وما فيه من نظام رمزيَ، ومجازيَ، وشفرته التي يغلب عليه أنْ يفسر الرموز على وفق ما تترجمه هي من رموز الكاتب وتشفيره، تفسيراً مناسباً لخبرته هو، وثقافته، وذوقه، فمن امتزاج، أو اندغام، الشفرتين تتكون لهذا النّصّ، أوذاك، بِنْية جديدة عابرة، في سلسلة لا نهائية من البُنى الفرعية التي ينتجها القراء، ويشتقونها، البنية الرئيسية التي صاغها المؤلف"[4]. وهذا يعني أنّ التواصل بين النّصّ والقارئ، مسألة مشروطة بقدرة القارئ على تحصيل الآفاق المعرفية والإيديولوجية للنصّ.

غير أنّ ما يميّز أعمال **إيكو** "هو تصوّره الذي تطور من خلال ما نسمّيه **بسّميائيّات التلقي** وهو آخر مفهوم يؤطر تصور **إيكو** حول القراءة، والذي نَحته في أحد المؤتمرات حول الدراسة السّيميائيّة الايطالية (1985) وهو نفسه عنوان الفصل الأول من كتابه الأخير" **حدود التأويل**"، ويمكن الإشارة أيضا إلى كتابه "Le signe"" وكتابه القيم الذي ناقش فيه، سّيميائيّات التلقي "القارئ في الحكاية"[5]. حيث عالج أمبرتو إيكو مجموعة من المفاهيم ذات الصلة بمرتكزات القراءة كالنّصّ، والقارئ. إنّ جمالية التلقي ليست إلاّ تطويراً لما ذهب إليه "**أمبرتو إيكو**".

1-القارئ النموذجي عند أمبرتو إيكو

أ-مفهوم القارئ

القارئ هو مستقبل العمل الأدبيّ وقارئه، فقد يكون هذا القارئ فرداً واحداً، وقد يكون عدة أفراد أو جماعة، وقد كان لنظريات القراءة وأهمها جمالية التلقي دوراً فعالاً في التأكيد على أهمية القارئ في تشكيل العمل الأدبيّ والفنّي.

المتلقي "طرف أساسي من طرف منظومة الاتصال الأدبيّ، بل إنّه الغاية الأساسية من هذه العملية، وذلك لأنّ المبدع عندما ينتج أدباً لا ينتجه لنفسه، وإنّما ينتجه لغيره وإلاّ لما نشره في الأساس"[6] . فالنّصوص كما يقال: لا تكتب لتوضع في الرفوف، "إنها سيرورات دلالية كامنة لا تتحقق وتتفعّل إلاّ بالقراءة. فوجود الأدب يتطلب القارئ بقدر ما يتطلب الكاتب"[7]. إنّ القارئ عنصر فعاّل ولا تقل أهميته عن صاحب النّصّ أو كاتبه.

وقد عبر عن هذا **فولفغانغ آيزر** بقوله: "وإذا كان الموقع الفعلي للنّصّ يقع بين النّصّ والقارئ فمن الواضح أنّ تحقيقه هو نتيجة للتفاعل بين الاثنين، فالإبداع الأدبيّ هو تفاعل إنتاجي بين النصّ وقارئه".[8]

الكاتب يدرك أنّ القارئ هو المستهدف بالنّصّ دائماً، وهو يدرك جيداً أثر توجهه إلى القارئ في نوع الاستجابة لرسالته النّصّية وقوتها. "القارئ يسكن عقل الكاتب من الاستهلال، إذ ينسج خيوطاً للتقارب بالكلام بما يعجبه وما لا يعجبه من روايات وقصص ..."،[9] كما أنّه يحرص على أنْ يتوفر النّصّ على العناصر الضرورية؛ "فعندما لا تتحقق الشروط الضرورية، يخفق العمل الفنّي في توليد الأثر الذي يريده الكاتب"[10]. مما يتولد عنه النقد من قبل النقاد والدارسين.

حتّى إنّ كثيراً من خيرة الأدباء يُصِرّون على أنّ العمل السرّدي سواء كان رواية أو قصة قصيرة ينبغي أن يكون، قبل كل شيء قصّة جيدة تستثير بالدرجة شغف القارئ وتحظى باهتمامه. فيقومون باختيار المواضيع التي تلقى صدى وقابلية لدى القراء غالبا ما تكون مرتبطة بالأوضاع الراهنة المحيطة بالقارئ.

والمتلقيّ القارئ قد يضيف إلى النّصّ مجموعة من السياقات الخاصة تفيد في تأويل وتفسير النّصّ. كذلك يمكن لعدّة قراءات أنْ تستكمل ما ليس في النّصّ. وقد يختلف كل قارئ عن الآخر، بمدى وعيه وثقافته، وقدرته على تذوق النّصّ المطروح عليه[11]، فالقارئ لا يباشر النّص وهو خاويّ الذهن.

وهنا تصريح أو إشارة إلى نقطة مهمة وهي اختلاف وتنوع القراء، مردُه إلى المستوى العلمي والثقافي للفرد وأيضا إلى القريحة النقديّة التي يتمّيز بها بعض القراء.

بناءً على هذا، صنفت نظريات التلقي القارئ إلى عدة أنواع أهمها: القارئ الجامع عند ميكائيل ريفاتير، والقارئ الخبير عند فيش، والقارئ المرتقب عند وولف، والقارئ القصدي عند إيفيس، والقارئ المثالي عند آيزر، والقارئ الضمني عند آيزر أيضاً، والقارئ المستهدف، التاريخي، القارئ النموذجي عند أمبرتو إيكو.

إنّ هؤلاء القراء " ليس لهم نفس النموذج النظري داخل خريطة التلقي التي ترسم مشهداً مكوّناً من الهوية والتطابق، حيث تتوجه توجهات مختلفة تماماً في إطار النظريات السيميوطيقية المتصلة: بجمالية التلقي التي يكون من خلالها القارئ النموذجي مع إيكو، سارياً على منوال " توجه القارئ النقديّ" الذي يعنى بعملية تفكيك الموضوع وليس بالأحداث التجريبية للقراءة بذلك يكون بناء/ تفكيك النصّ هو تلك العملية التي تقوم بواسطة فعل القراءة كشرط فعّال وضروري لتحقيق النصّ باعتباره كذلك."[12] فمن هو القارئ النموذجي؟

ب-القارئ النموذجي

أنشأ "أمبرتو إيكو"عام 1979 نموذجاً سيميائياً خالصاً للقراءة، وهو عمل ينصبُ، كما حدد إيكو، على الظاهرة السّردية التي يعبر عنها كلامياً على أن القارئ المتواطئ قد فسرها.

يندرج كتاب **"القارئ في الحكاية"**، ضمن المشروع السّيميائيّ العام الذي تقدم به الباحث الإيطالي **"امبرتوإيكو"** والذي أصبح يحتل مكانة متميّزة في الدراسات الأدبيّة والسّيميائيّة المعاصرة، وذلك بفضل أبحاثه وإسهاماته العلمية مما سهم في إرساء وترسيخ دعائم البحث السّيميائيّ سواء على مستوى النّصّ الثقافي العام، أو في مجال النّصّ الأدبيّ.

و"**القارئ في الحكاية**" هو عبارة عن أبحاث نشرت متفرقة ما بين 1976-1978. يعد امتداداً لاجتهادات **إيكو** التي ركزت على الجوانب المتصلة بفعل القراءة وعلاقة ذلك بالنّصّ والتأويل. ومن ثمة جاءت النظرة التي قدمها عن جمالية التلقي إنّ جمالية التلقي ليست إلاّ تطويراً لمّا ذهب إليه أمبرتو إيكو. من خلال قراءاته العملية لبعض النّصّوص الحكائية التي من خلالها توصل الرجل إلى إعلانه عن مقولته التي ارتبطت بمشروعه النقديّ العام، ألاّ وهي" **القارئ النموذجي**"، على غرار أنواع القراء التي صيغت في حقل الدراسات التي اهتمت بالتلقي عموماً، فمن خلال نوعية القارئ، تعاملاً تجريدياً في مقابل الطروحات التجريبية والسوسيولوجية التي صيغت في هذا المجال، على اعتبار أنّ القارئ في علاقته بالعمل الأدبيّ يدخلان في علاقة ضرورية وحتمية لبناء النّصّ وتحقيق فعله[13]. ممّا سمح بظهور ما يسمّى **بسّيميائيّة القراءة**، وهي منهجية في القراءة تعتمد بالدرجة الأولى على المتلقي الذي لم يعد يكتفي بموقفه السّلبي تجاه العمل الأدبيّ، كما تعتمد في أطروحاتها النقديّة على ما يسمّى بتداولية النّصّ.

اعتمد إيكو كثيراً على فلسفة "**بيرس**" ويبدو ذلك بوضوح في العديد من كتبه، كما استند في تأسيس مفهوم القارئ النموذجي على بيرس. وكانت جل اهتمام إيكو بالنّصّ السّردي المكتوب تحديداً حيث قام بتحليل الروايات والقصص القصيرة، وقد افترض لنّصّه السّردي المكتوب قارئاً نموذجياً، فهو الآخر مثل "إيزر" نصّه غير كامل ومعقد في غالب الأحيان ومردُ هذا التعقيد إلى كثير من البُنى الغائبة الغير الظاهرة في البنى السطحية للنّصّ؛ حيث أنّ هذا الأخير يفترض المشاركة التفسيرية لقارئه النموذجي. فعلى الرغم من امتلاكه لمعارف وموسوعات لغوية وغير لغوية مازال متأصلاً في النّصّ ومصنوعاً ومفترضاً من قبل الكاتب[14].

يقول إيكو: "إنّ النّصّ يفترض قارئه كشرط حتمي لقدرته التواصلية الملموسة الخاصة، ولكن أيضا بقوته الدلالية، وبعبارة أخرى، النّصّ منتج لواحد يستطيع تحيينه، وحتى إذا كنا نأمل أو لا نريد أن يكون هذا الواحد موجوداً مادياً، أو تجريبياً"[15]. معنى هذا أنّ النّصّ هو الذي يفترض مسبقاً قارئا نموذجياً يحقق له نصّيته.

إنّ هذه الضرورة الملحة التي تستدعي حتمية افتراض قارئ " توكل إليه مهمة تحيِين النّصّ، عبر استراتيجية نصّية استدعتها بياضات وفراغات النصّ، هي التي دفعت إيكو إلى الإعلان عن "طبيعة " هذا القارئ، كونه **"قارئاً نموذجياً"** ليدرج ضمن مختلف الطروحات التي صيغت حول المتلقي بشكل عام، عند كل من ياوسو إيزر ميشال ريفاتير(القارئ الجامع)، وروبير اسكاربيت الذي اهتم بعلم اجتماع القراءة التي فندت مقولة **"القارئ المستهلك"**، هذا بالإضافة إلى العديد من أنواع القراء التي تطورت وتعدّدت بتطور أركيولوجيا التأريخ " لزمن القارئ "[16].

إنّ كل نظرية من نظريات الأدب تتجه بدورها إلى التركيز على حد من الحدود الثلاثة: **الكاتب/النص/القارئ.** يعتمد هذا على الثلاثية الشهيرة: المرسل- الرسالة- المتلقي الكامنة خلف كل عملية تواصل مهما كان نوعها ومستواها. كما أنّ "مختلف التوجهات حول طبيعة القارئ المفترض للنصّ الأدبيّ ترمي إلى تقرير مفاده كون أنّ جوهر النصّ يفسر أخذاً بعين الاعتبار، زيادة أو عوضاً عن لحظة التولد، الدور الذي يلعبه المرسل إليه في إدراكه من حيث فِعليته، تأويله، علاوة على الطريقة التي يتوقع بها النصّ مشاركته، لإدخاله في سلسلة الاشتغال، التي تتم بإدراج القارئ النموذجي لقدراته الموسوعية وثقافته المعرفية إلى جانب ما يوحي به المعنى الظاهر للكلمات حيث أن القارئ يدخل النّصّ في عملية تأويلية متسلسلة ومستمرة مرتبطة هذه الأخيرة بدورها بنقل دلالات النص من مستواها التقريري إلى المستوى الإيحائي، وهي الفكرة التي استمدها إيكو من خلفيات ابستمولوجية على المستوى السميوطيقي"[17].

حيث يمثل النّصّ كما يظهر من خلال مستواه اللغوي اللّساني "سلسلة من البناءات التعبيرية، يقوم القارئ بتأويلها وتحقيق إيحاءاتها لكن تتم عملية ترهينها، وحتى في هذه الحالة، فإنّ النصّ يظل ناقصاً، إذ أنّ الأمر لا يتوقف على موضوعات لسانية بل يتعداه إلى ضرورة فك مرجعية الشفرات الواردة في النّصّ، وهذا الأمر نفسه هو الذي يبرر استدعاء قارئ من نوعٍ نموذجي"[18].

وبهذا يكون القارئ النموذجي، هو ذلك الذي يمتلك القدرة على ملء الفراغات والفضاءات البيضاء للنّصّ، وفك الرموز التي يشتمل عليها النّص، والذي يستطيع أيضا استنطاق العلامات الصامتة لهذا النّصّ، من افتراضات ومضمرات أو ما يسمّيه إيكو بالمسكوت عنه. أيْ أنه يتصّف هذا النّمط من القارئ بقدرات وكفاءات خاصة تمكنه من ذلك.

لكن في ختام هذا العنصر لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أنّ قارئ "إيكو" "يظلّ مجرد حدس وتخمين لا يتماشى والمعطيات الواقعيّة بل لعلّه قارئ ممكن لا يوجد إلاّ في العوالم الممكنة. فليس من الضرورة أن يقرأ كلّ قارئ نصّا بالطريقة التي يشترطها "إيكو". فهناك مستويات للقراءة وليس كلّ القرّاء نقّاداً محترفين. وهذا ربما يوحي بأنّ قارئ "إيكو" النموذجي هو قناع للكاتب نفسه.[19]

2- النص عند آمبرتو إيكو

2-أ-مفهوم النّصّ

يتوفر في مصطلح **(نص)** في العربية وكذلك في مقابله في اللغات الأجنبية Texte معنى النسيج، فالنّصّ نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض[20]. إنّه كلام المؤلف دون تحديد نوعه شعراً كان أو نثراً، ويحتل النّصّ مكانة سامقة في عملية الاتصال الأدبيّ، لأنّه الرسالة التي يوجهها المبدع إلى المتلقي، وهذا النّصّ هو الغاية أو الرابطة التي تربط طرفي عملية الاتصال. فالنّصّ هو نوع من تركيب الرموزEncoding بشكل معين حتى تصل إلى المستقبل أو المتلقي الذي يقوم بفك هذه الشفرة[21] Decoding، وبذلك يتحقّق الاتصال بين الكاتب والقارئ.

فالنّصّ هو حلقة الوصل بين المبدع والمتلقي وبالتالي هما شريكان فيه، وإذا كان التذوق في جوهره عملية اتصال تقتضي وجود الطرفين: أحدهما هو **المرسل** والآخر هو **المتلقي** فإنّ العمل الأدبيّ يأخذ شكل دورة تنتقل من ذهن الكاتب إلى ذهن القارئ الذي يعيد فيها ذلك القارئ وبطريقة عكسية أدوار التغلق الكامل للنّصّ الأدبيّ وهذه الدورة أسماها **بيتسون** دورة العمل الأدبيّ. تبدأ من الكاتب وتنتهي عند حدود القارئ. فالأدب إذن هو نص وقارئ.

لقد استطاع **ايزر** أن يحدد النّصّ في قطبين متلازمين تقوم عليها حقيقة النّصّ كوجود: قطب **فنّي** وقطب **جماليّ**: الأول هو نصّ المؤلف، والثاني هو الإدراك الذي يحقّقه القارئ.[22] وبهذا يكون النّصّ الأدبيّ نصّ توالدي تشاركي، " أيْ أنّ النّصّ يتشارك في بنائه وتكوينه المتلقون، وذلك لأنّه نصّ مفتوح يسمح بالتأويلات والإضافات إليه من فعل القراءة الذي يمارسه المتلقي"[23]. ممّا يجعله ملكية مشتركة. وهو ما ذهب إليه **" أمبرتو إيكو"** حيث يرى " أنّ المؤلف يدرك أنّ هذا النّصّ لن يؤول وفق رغباته هو، بل وفق استراتيجية معقدة من التفاعلات تستوعب داخلها القراء".[24]

2-ب-انغلاق النص وانفتاحه

ومن جانب آخر، فقد اهتم "أمبرتو إيكو" بالقراءة، وميّز بين القراءة المنغلقة والقراءة المنفتحة، كما ميّز بين النّصّ المغلق والنصّ المفتوح كما في كتابه: «الأثر المفتوح" (1965م). وحيث كان لـ(أمبيرتو إيكو) الفضل في إشاعة مصطلح **(انفتاح النّصّ وانغلاقه)**.

إنّ "أمبرتو إيكو" يفرّق لنا بين نوعين من النّصّوص هما: النّصّ المنغلق والنّصّ المنفتح، فالنّصّ المنغلق "هو ذلك النّصّ الذي يتم ترتيب عناصره بطريقة ثابتة ومستقرة مع بعضها بعضا في ظل حدود واضحة داخل النظام وبين غيرها من عناصر خارج النظام. وهذا النّصّ حسبما يراه إيكو الذي لا يأخذ فيه المؤلف حسباناً لإمكانية نّصيّة يجوز أن تفسر وفقاً لقراء مختلفين في ظل ظروف مختلفة، حيث يكتب ذلك النّصّ في زمان ومكان مجددين ليروق لأناس في ذلك الزمان والمكان، ومن ثم يسلم المؤلف بالمعلومات الاجتماعية والثقافية والمعتقدات الشائعة في ذلك الحين"[25].

والنّصّ المفتوح له مقابل لغويّ هو النّصّ المغلق، والمعني بالنّصّ المفتوح كما هو معروف هو النّصّ الذي ينفتح على كل احتمالات التفسير والتأويل. ويمكن أن نطلق عليها تسمّية "نصوص مفتوحة" أو "آثار مفتوحة" لأنها تشترك مع أعمال فنيّة تمتاز بالخصائص نفسها.

ولا بد هنا من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أنّ النّصّ المغلق" فهو ذلك النص الغائم الدلالة، وبرغم ذلك فإنه لا يحتمل إلاّ تفسيراً واحداً، وهو ما يلاحظ بوضوح في النّصوص القانونية، والعلمية، وعلى مستوى الكتابة الأدبية نلاحظه في النّصّوص البوليسية وما يتصل بها من روايات الجاسوسية".[26]

غير أنّ إيكو خالف هذا المتعارف عليه فالنصّ **"المنغلق"** عند إيكو هو النّصّ الذي ينفتح على كل احتمالات التفسير ويقبل كل تأويل، فالنص المغلق نص منفتح على أية قراءة؛ إذ يرى **إيكو** أنّ مثل هذه النّصوص المغلقة التي تنفتح على كل قراءة محتملة تسعى جاهدة لإثارة استجابة معينة من القارئ الحقيقي.

إنّ **النّصّ المفتوح** هو النّصّ "الذي سعى مؤلفه إلى تمثّل دور القارئ أثناء عملية بناء النّصّ، وبالتالي فهو نص يبيح التأويل والتفسير ضمن حدود نّصّية معينة ومفروضة، والتأويلات التي يتعرض إليها هذا النوع من النّصّوص مجرد أصداء لبعضها البعض، على عكس الاستجابات التي يستثيرها النّصّ المغلق".[27]

يختلف مفهوم " النّصّ عند أمبرتو إيكو " عما عرفناه مع "بارت"، ومرد هذا الاختلاف إلى أنّ النصّ مفتوح على تأويلاتٍ لا نهائيةٍ من خلال كونه بنية من السنن والشفرات من جهة، وعلى اعتبار كونه مليء "بالفراغات" و"الفضاءات البيضاء" أو مايسمّيه إيكو" بالمسكوت عنه".

يقول **إيكو**: "على الأقل ما نسمّيه اليوم بتداولية النصّ أو جمالية التلقي هو مقاربة فعالية التعاون، التي تدفع المرسل إليه ليشد إلى النّصّ، ما لا يقوله النّصّ، ولكن ما يفترضه وعد مشروك أو ضمني لملء الفضاءات الفارغة، لربط ما في النصّ، فضلاً عن ذلك ما بين حروفه، أينيولد، وعلى ماذا يقوم...إنّه من المفيد جداً دراسة كيف تم إنتاج نص، وكيف أنّ كل قراءة لهذا النصّ لن تكون شيئاً آخر سوى جعله واضحاً داخل سيرورة النشوء في بنيته."[28]

وهذا يعني أنّ النّصّ نسيج من الفضاءات البيضاء والفراغات التي يجب ملؤها، إنّ المؤلف يكتب نصّه وهو ينتظر دائماً بأنها ستملأ من قبل نّمطٍ خاص من القراء؛ بمعنى هو يتعمد تركها لاعتباره النصّ أولية تعيش على فائض قيمة المعنى الذي يدخله فيه المتلقي من خلال حل مستوى المعنى باعتماد عملية التأويل والتفسير.

فتأسيس النّصّ كنسيج من الفضاءات البيضاء يجعل من أليات التأويل إمكانية هامة لإنتاج القراءات المتعاقبة، لذلك يمكن أنْ تتأسس نظريات القراءة كآليات تأويلية تختص بالبحث عن المعنى.[29]

بناءً على ذلك يكتسي مفهوم النّصّ عند إيكو طابع الانفتاح على التفسير والتأويل واندراجه بين مستويي التقريري والإيحاء، وهذه الميزة تستمد مرجعيتها من بنية النّصّ التي فضلاً عما هو محقق في مستوى المضمون، تعتبر أيضا جملة من الفضاءات البيضاء، والمسكوت عنه والحذف.. وبهذا يكون النّصّ آلة كسولة تتطلب من القارئ القيام بعمل مشترك لملء الفضاءات الفارغة أو الأشياء التي قيدت لكنها ظلت بيضاء، وهذا يستدعي قدرة من لدن القارئ تؤدي إلى نوع من الاشتراك انطلاقاً من العديد من الافتراضات المسبقة التي يطرحها القارئ بالنسبة لكل علاقة داخل النصّ.[30] ولهذا فإنّ النّصّوص الغامضة هي أكثر النّصّوص قابلية للانفتاح على التأويل والتفسير.

وخلاصة هذا العنصر هو أنّ النّصّ بنية تحمل إضافة إلى مستوى ما يظهر على سطح المضمون جملة من البياضات والفضاءات الفارغة أو المسكوت عنه، تجعل النّصّ مفتوحاً على قراءات متعدّدة ولا نهائية وهذا ما

يتطلب قارئاً من نوع خاص يمتلك قدرات موسوعية خاصة لملء هذه الفجوات وبهذا يشترك كل من المؤلف والنّصّ في استراتيجية نصّية هي التي تمهد لاستدعاء هذا القارئ الذي ستوضح لنا طبيعته. كما أنّ الفروقات الخاصة بطبيعة النّصوص السّردية باستطاعتها تفسير الفروقات القرائية وآليات تلقي النّصّ من قارئ لآخر.

3-المشاركة في بناء النّصّ بين المؤلف والقارئ النموذجي

3-1-المؤلف والقارئ كاستراتيجية نصّية

إنّ النصّ حسب إيكو آلة كسولة تفرض على القارئ القيام بعمل مشترك لملأ الفجوات والفضاءات البيضاء؛ أيْ أنّ النصّ بذلك هو في حاجة دائمة إلى من يساعده كضرورة حتمية لتحقيق الغاية التي من أجلها كتب هذا النصّ. وبهذا فإنّ النّصّ إذن " ليس إلاّ كسولة ذات افتراضات مسبقة لها أبعاد متعددة مرجعية، دلالية وتداولية، ويلزمها لكي تتحقق وتصبح عملاً أدبيّاً، قدرات معينة من لدن القارئ ولا تنحصر هذه القدرات فقط في الجانب اللّغوي الصرف، بل تتعداه إلى ما هو أشمل بنتيجة الطبيعة المعقدة للنّصّ المقروء الذي يتوقع إسهامات القارئ، ولا يتم هذا التوقع حسب إيكو، إلاوفق" إستراتيجية نصّية".[31] وبالتالي تتم المشاركة في بناء معنى النص بين المؤلف والقارئ النموذجيّ.

فهذه الإستراتيجية "يقيمها الكاتب ويحيل من خلالها على مجموعة من القدرات التي تؤدي مضموناً للتعبير الذي يوظف، ووفقاً لهذه الإستراتيجية النصّية يتوقع النصّ قارئه النموذجي القادر على الاشتراك في التحيين بالشكل الذي فكر فيه الكاتب"[32]. فالنّصّ كما سبقت الإشارة إليه بحاجة دائمة إلى مساعدة حتمية من قبل القارئ أو المتلقي حتى يتمكن من ملء البياضات والفضاءات الفارغة والخروج عن صمته والكشف عن معناه وتحقيق جمالياته الأدبيّة والفنيّة.

ويترتب عن هذا التداخل لبناء صورة محددة للقارئ كون كتابة النّصّ وقراءاته تتمان ضمن إطار استراتيجي يتوقع فيه الكاتب قارئه مسبقاً ، ويرقب فيه ردود فعله الممكنة ليستبقها أو يؤرخها متصوراً أنّ القدرات التي تمنح لكلماته معناها هي نفسها تلك القدرات التي سيلجأ إليها القارئ أثناء عمله التأويلي[33].

وبالتالي هناك إستراتيجيتين نصّيتَين تساهمان في بناء معنى النّص: الأولى هي توقع النصّ مسبقا لقارئ من نّمطٍ خاص كشرطٍ حتمي سمّاه إيكو قارئاً نموذجيّاً، والثانية هي منتج النّصّ أيْ المؤلف كونه موصوفاً كفرضية حتمية تأويلية تتضمن على مستوى الخطاب من خلال سلسلة من الاقتراحات المساعدة أو التعاونية ويحقّقه كسلسلة من العمليات النّصّية.

3-2-المشاركة في بناء معنى النّصّ

سبقت الإشارة إلى أنّ النّصّ آلة كسولة ولهذا لا بد من قارئ نموذجي كشرط لانبعاث النصّ- ولكي يتمكن المؤلف من استراتيجية النّصّ يجب أن يحيل النّصّ إلى سلسلة من المؤهلات التي تعطي مضموناً لتعبيراته. وأنْ يفترض أنّ خلاصة هذه المؤهلات الإحالات هي ذاتها إحالات القارئ. ولذلك يجب تحديد قارئ نموذجي ذي أهلية تعمل على انبعاث النصّ بالطريقة التي فكرّ بها المؤلف وبالتالي مشاركته في بناء المعنى، المعنى الذي قصد إليه الكاتب ورمى، والذي يتم إدراكه حين يؤول، ويُفسَر، ويَشرح ويملأ البياضات والفراغات، ويستنتج ما هو صامت ومسكوت عنه داخل النّصّ. وهذا يعني أنّ هذه المشاركة بين المؤلف والقارئ، مسألة مشروطة بقدرة

القارئ على تحصيل الآفاق المعرفية والإيديولوجية للنصّ.

يشترط الكاتب، وفقاً لإيكو، أهلية قارئه النموذجيّ من جانب، ولكن من جانب آخر يخلقها، فالقارئ النموذجي عبارة عن مجموعة من الظروف المتناسبة، المستقرة نصيّاً التي ينبعث النصّ بمضمونه الكامل على خلفية توفرها. فالكاتب يدرك أنّ القارئ هو المستهدف بالنّصّ دائماً، وهو يدرك جيداً أثر توجهه إلى القارئ في نوع الاستجابة لرسالته النّصّية وقوّتها.

يدعو إيكو من خلال هذه الفكرة إلى تواطؤ الكاتب مع قارئه في بناء معنى النّصّ عبر عدة اجراءات، هي:

1-أن يكشف الكاتب للقارئ جميع أسرار النصّ من خلال استباحة مفاتيحه.

2-تحميل النصّ إحالات واقعية يمكن الذهاب إليها وقراءة النّص بمفرداتها.

3-أن تكون تلك الإحالات هي ذاتها التي سيلجأ إليها القارئ.

4-انبعاث النّصّ عبر قارئه النموذجي بالطريقة ذاتها التي فكر بها المؤلف. فعلى الكاتب في نظر إيكو أن يتصرف بنفس الشكل بإحالته على قارئ ذي قدرات معرفية واسعة.

إنّ توقع النصّ لقارئه النموذجيّ وفق هذه الاستراتيجية النصّية ليس معناه فقط حتمية وجود هذا القارئ، ولكن أيضا العمل على بناء معنى النّص بطريقة خاصة.

لن يغيب هذا القارئ النموذجي عن ذهن المؤلف، لأنه سيتنبأ بوجوده شريكاً له في تحيِّين نصّه، و بالطريقة التي فكّر بها المؤلف نفسه و سيعمل هذا القارئ على التحريك التأويلي كما حرّكه في أثناء كتابته، و هكذا يأتي التوليد داخل إنتاج النصّ.[36]

وبناء عليه فإنّ النّصّ هو حلقة الوصل بين المبدع والمتلقي وبالتالي هما شريكان فيه. فالقارئ استراتيجية نصّية وعليه تكون المشاركة التفسيّرية بين استراتيجيتين خطابيتين. وهكذا تتم بموجبها المشاركة في بناء معنى النصّ بين المؤلف والقارئ وكأنهما ينتجا النّص معاً.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى النتائج التالية:

1-إنّ من أهم الانجازات التي وطدت وجودها نظريات القراءة وجماليات التلقي، تفعيل دور القارئ في العملية الأدبيّة.

2-صنفت نظريات التلقي القارئ إلى عدة أنواع أهمها: القارئ الجامع عند ميكائيل ريفاتير، والقارئ الخبير عند فيش، والقارئ المرتقب عند وولف، والقارئ القصدي عند إيفيس، المثالي عند، والقارئ الضمني عند آيزر ، ... القارئ النموذجيّ عند أمبرتو إيكو.

3-إنّ القارئ النموذجيّ عبارة عن مجموعة من الظروف التي تتضافر من أجل إنجاح عملية القراءة، تلك الظروف المتناسبة، المستقرة نصيّاً التي ينبعث النص بمضمونه الكامل على خلفية توفرها؛ وهي عبارة عن بنيات متضمنة في النّصّ تسمح للنّصّ بتحيِّينه وتحقيق معناه.

4-إنّ التواصل بين النّصّ والقارئ، يتحدد بطبيعة العلاقة المعرفية بين الاثنين، إذ لا يمكن مطلقاً الحديث عن تواصل بين شيئين في الوجود من غير حدوث تلك العلاقة التآلفية بينهما.

5- إنّ القارئ والمؤلف استراتيجيتان نصّيتان، من خلالهما يتحقق الاشتراك النّصّي مما يساهم في بناء معنى النّصّ؛ فمحاولة تلمس الوجود الأدبيّ تبين أنّه لا يستقيم إلاّ في التقاء القارئ بالنصّ.

6-كما أنّ التواصل بين النّصّ والقارئ يتحدد بآفاق مختلفةٍ، لا تبدو إلاّ من خلال مقاربة النّصّوص في حد ذاتها.

إحالات البحث

[1]-تأنيت القصيدة والقارئ المختلف: عبد الله محمد الغذّامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:1، س: 1999، ص105.

[2]-المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية:وليمراي،تر/ يوئيلعزيز، المأمون، بغداد، ط:1، س:1987، ص151.

[3]--بنية النّص الروائي دراسة: إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط:1، س:201، ص265.

[4]– المرجع نفسه، ص265-266.

[5]-القارئ وإنتاج المعنى مفاهيم وتطبيقات: يوسف تغزاوي، مطبعة بنفلقيه الرشيدية، المغرب، ط:1، س:2012، ص53.

[6]-التذوق الأدبيّ "طبيعته، نظرياته، مقوماته، معاييره، قياسه": ماهر شعبان عبد الباري، دار الفكر ناشرون، عمان، ط:3، س:2011 ، ص147. ص183.

[7] --جمالية التلقي من أجل تأويل النّصّ الأدبيّ: هانس روبيرت ياوس، تر/ رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، ط:1، س:2004، ص10.

[8]-فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب: فولفغانغايزر، تر/ حميد الحميداني، الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، دط، دس، ص12.

[9]-ينظر: البحث عن المغزى تجارب في قراءة النّص: محمدالعيد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، دط، س:2012، ص196.

[10]-لذة القراءة في أدب الرواية: أيمن الغزالي، دارنينوى، سوريا، ط:1، س:2001، ص9.

[11]-ينظر: علم النص" دراسة جمالية نقدية ": مدحت الحيار، كلية الآداب، جامعة الزقارين، القاهرة، ط:1، س:2005، ص133.

[12]-القارئ وإنتاج المعنى مفاهيم وتطبيقات: يوسف تغزاوي، ص56.

[13]-ينظر: المصدر نفسه، ص53-55.

[14] -ينظرالقارئ وبنية النّص السردي: بوساحة فريدة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد10، ص285-286.

[15]-القارئ وإنتاج المعنى مفاهيم وتطبيقات: يوسف تغزاوي، ص55.

[16]-المصدر نفسه، ص55.

[17] -المصدر نفسه، ص 56-57.

[18] -المصدر نفسه، ص58.

[19]-تشكل المعنى بين دلالات النّص وتأويل القارئ عند "إمبرتو إيكو" : الميلود حاجي، مجلة جيل الدراسات الأدبيّة والفكرية العدد :33 ، ص 61.

[20]-ينظر:نسيج النص بحث في ما يكون الملفوظ نصاً:الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:1، ص12.

[21]-ينظر: التذوق الأدبي طبيعته، نظرياته، مقوماته، معاييره، قياسه: ماهر شعبان عبد الباري، ص126.

[22]-ينظر: نظريات القراءة في النقد المعاصر: حبيب مونسي، منشورات دار الأديب، وهران، دط، س:2007، ص176.

[23]-ينظر: التذوق الأدبي طبيعته،نظرياته، مقوماته، معاييره، قياسه: ماهر شعبان عبد الباري ،ص147.

[24]-التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنگراد، المركز الثقافي العربي، ط:2، س: 2004، ص85.

[25]-النص المفتوح والنص المنغلق عندأمبرتوإيكو: حنانمصطفى، https://aljadeedmagazine.com

[26] -رؤى نص أمبرتو إيكو المفتوحhttp://alwatan.com/details :

[27]-دليل الناقد الأدبي: ميجان الرويلي، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، دط، دس، ص273.

[28]-القارئ وإنتاج المعنى "مفاهيم وتطبيقات": يوسف تغزاوي، ص59-60.

[29]-ينظر: التجربة الروائية المغاربية"دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة": فتحي بوخالفة، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط:1، س: 2010، ص543.

[30] -القارئ وإنتاج المعنى "مفاهيم وتطبيقات": يوسف تغزاوي ، ص60-61.

[31] -المصدر نفسه ، ص65.

[32]-المصدر نفسه، ص60-61.

[33]-المصدر نفسه، ص67.

[34]-الثقافة وتجلياتها" السطح والأعماق: علي ناصر كنانة، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط:1، س:2017، ص175.

[35] -الشراكة النصية عند أمبيرتو إيكو-مقاربة معرفية لدراسة الاستراتيجية-نادية بوشفرة،مجلة الأثر،العدد21،س:2014،ص4.

[36] -القارئ وإنتاج المعنى "مفاهيم وتطبيقات": يوسف تغزاوي، ص68-69.

مراجع البحث

الكتب العربية:-

- البحث عن المغزى تجارب في قراءة النّص: محمدالعيد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، دط، س:2012، ص196.

-بنية النّص الروائي دراسة: إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط:1، س:201، ص265.

-التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر:سعيدبنكراد، المركز الثقافي العربي، ط:2، س:2004.

-التجربة الروائية المغاربية "دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة": فتحي بوخالفة، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط:1،دس.

-التذوق الأدبي طبيعته، نظرياته، مقوماته، معاييره، قياسه:ماهر شعبان عبد الباري، دار الفكر ناشرون، عمان، ط:3، س:2011.

-الثقافة وتجلياتها" السطح والأعماق": علي ناصر كنانة، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، ط:1، س:2017.

-دليل الناقد الأدبيّ: ميجانالرويلي، سعدالبازعي، المركز الثقافي العربي، دط، دس.

-نسيج النص بحث في ما يكون الملفوظ نصاً:الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:1.

-نظريات القراءة في النقد المعاصر: حبيبمونسي، منشورات دار الأديب، وهران، دط، س:2007.

-تأنيت القصيدة والقارئ المختلف:عبد الله محمد الغذّامي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:1، س:1999.

-المعنى الأدبيّ من الظاهراتية إلى التفكيكية: وليمراي، تر/ يوئيلعزيز، دار المأمون، بغداد، ط:1، س:1987.

-جمالية التلقي من أجل تأويل النصّ الأدبيّ:هانس روبيرت ياوس، تر/ رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، ط:1، س:2004، ص10.

-فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب: فولفغانغايزر، تر/حميد الحميداني، الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، دط، دس.

البحث عن المغزى تجارب في قراءة النص: محمدالعيد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، دط، س:2012، ص196.

-لذة القراءة في أدب الرواية: أيمن الغزالي، دارنينوى، سوريا، ط:1، س:2001.

علم النص" دراسة جمالية نقدية": مدحتالحيار، كليةالآداب، جامعة الزقارين، القاهرة، ط:1، س:2005.

المجلات والدوريات:

-تشكل المعنى بين دلالات النّص وتأويل القارئ عند "إمبرتو إيكو" أ. الميلود حاجي، مجلة جيل الدراسات الأدبيّة والفكرية العدد :33.

-القارئ وبنية النصّ السردي: بوساحة فريدة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة،العدد10.

-الشراكة النصّية عند أمبيرتو إيكو-مقاربة معرفية لدراسة الاستراتيجية- نادية بوشفرة، مجلة الأثر، العدد21، س: 2014، ص4.

مواقع الانترنيت:

-النص المفتوح والنص المنغلق عندأمبرتوإيكو: حنان مصطفى، https://aljadeedmagazine.co

-رؤى نص أمبرتو إيكو المفتوحhttp://alwatan.com/details :